

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

موضوعات قرآنية - الدرس : 38 - السموات والأرض .

05-12-2001

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

دوران الأرض حول الشمس آية من آيات الله الدالة على عظمته :

أيها الأخوة الكرام ؛ وقت الظهر وقت زوال الشمس عن كبد السماء ، فحينما تزول الشمس عن كبد السماء ، أي حينما تنحرف عن منتصف قبة السماء يكون وقت الظهر ، ما معنى الزوال إذاً ؟ الانحراف، ومعنى الزوال أيضاً التلاشي ، زالت هذه العقبات ؛ تلاشت ، الله جل جلاله يقول :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾

[سورة فاطر: 41]

الأرض أيها الأخوة ، ولناخذ الأرض مثلاً تسير في مسار إهليلجي بيضوي حول الشمس ، لا شك أن بين الشمس والأرض تجاذباً ، الكتلة الأقوى تجذب الكتلة الأقل ، والشمس أكبر من الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة إذاً الشمس تجذب الأرض إليها ، وهي تسير في مسار حولها ، لماذا لا ترتطم بها ويصحبان كتلة واحدة ؟ لأنها تدور ومن دوراتها تنشأ قوة نابذة هذه القوة النابذة تمنع ارتطام الأرض بالشمس ، ولكن الحسابات دقيقة جداً ، الأرض في مسارها حول الشمس حينما تصل إلى نصف القطر الأصغر يمكن أن تنجذب إلى الشمس ، وأن ترتطم بها ، وأن تنتهي الحياة ، لأنه كان هناك توازن في المكان البعيد ، فلما قلت المسافة بين الشمس والأرض تغلبت قوى التجاذب على قوى التناذب ، إذاً الأرض كائن جامد ، من علمها أن تزيد من سرعتها كي ينشأ من زيادة هذه السرعة قوة نابذة إضافية تكافئ هذه القوة الجاذبة بسبب قصر المسافة بينها وبين الشمس ؟ الله جل جلاله ، ولكن هذه الأرض حينما ترفع سرعتها فجأة كي تتلافى الانجذاب إلى الشمس ، وكي ينشأ من هذه السرعة الزائدة قوة نابذة زائدة تكافئ القوة الجاذبة الزائدة الطارئة بسبب قصر المسافة ، هذه النقلة في السرعة تكون بتقدير حكيم عليم ، أي هذه النقلة تسارعها بطيء ، لو أن التسارع كان سريعاً لانهدم كل ما على الأرض ، أبدأ لم يبقَ بناء ، هل تستطيع أن تضع أربع علب فوق بعضها في سيارة شاحنة وتقلع فجأة دون أن تقع ، أما إذا أقلعت بهدوء شديد وتؤدة بالغة وبتدرج دقيق قد تبقى هذه العلب فوق بعضها بعض ، إذاً الأرض حينما تقترب من الشمس ترفع من سرعتها ، لو أنها بقيت على سرعتها الزائدة ووصلت إلى القطر

الأكبر ما الذي يحدث؟ ضعف الجذب، والسرعة زائدة، في الاحتمال الكبير أن تتفقت من مسارها حول الشمس، ما الذي يعيدها إلى مسارها؟ تتباطأ سرعتها لينشأ من هذا التباطؤ قوة نابذة أقل تكافئ القوة الجاذبة الأقل عندئذ تبقى في مسارها، الجامد عاقل؟ الجماد عنده علم؟ عنده إرادة؟ عنده حكمة؟

ثبات الأرض على مسارها آية عظيمة علينا التفكير بها :

لذلك قال الله عز وجل :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾

[سورة فاطر: 41]

عن مسارها، وأي كوكب في الكون يدور حول مسار واحد، لو توقفت حركة الكون لأصبح الكون كله كتلة واحدة، تتحرك قوى الجذب الأكبر يجذب الأصغر ويصبح الكون كتلة واحدة، لماذا هو على ما هو عليه؟ هناك قوى نبذ و قوى جذب .

العلماء قالوا : لو أنه فرضاً تفلتت الأرض من جاذبية الشمس، وسارت في الفضاء الخارجي، ما الذي يحصل؟ تزول، كيف تزول؟ حينما تصل الحرارة إلى مئتين و سبعين تحت الصفر تتوقف الذرات، هذا الصفر المطلق، تنعدم فيها الحياة، فإذا ابتعدت عن منبع الضوء والحرارة لا شك أنها تزول :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾

[سورة فاطر: 41]

فإذا زالت بالمعنى الأول زالت بالمعنى الثاني، انتهت، هذه حكمة الله عز وجل، لو أنها تفلتت - وهذا شيء فرضي - وأردنا أن نعيدها إلى الشمس قال : نحتاج إلى مليون مليون كبل فولاذي، نغرسها على سطح الأرض المقابل للشمس، مليون مليون كبل فولاذي، طول كل كبل مئة و ستة و خمسون مليون كيلومتر، وهذا الكبل قطره خمسة أمتار، بالمناسبة خيط الفولاذ الذي قطره ميلي واحد يحمل منتي كيلو، فإذا كان قطره خمسة أمتار هذا يحمل مليوني طن، معنى هذا أن الأرض تنجذب إلى الشمس بقدره تساوي مليونين ضرب مليون مليون طن، كل هذا الجذب وهذه القوة من أجل أن تحرف الأرض عن مسارها ثلاثة ميلي في كل ثانية، إذا كان هناك انحراف ثلاثة ميلي في كل ثانية يغدو هذا المسار مغلقاً و ببيضياً، وتمشي به الأرض حول الشمس، لذلك الله عز وجل قال :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ﴾

[سورة فاطر: 41]

أي إذا قطار خرج عن السكة وقلنا لنملة : أرجعيه؟ مستحيل وألف ألف مستحيل .

رفع السماوات بِغَيْرِ عَمَدٍ آية من آيات الله الدالة على عظمته :

هناك شيء آخر في آية ثانية ، مرة راقبت في كلية التربية في بناء الطب ، استعرناه للامتحان ، كل عضاضة ثلاثة أمتار ، أو متران ونصف ، كل الزوايا ممتة في المراقبة ، لأن القبو فيه دعائم البناء ، هل هناك قوة بالأرض تبني بناء من عشرة طوابق مفصلاً عن الأرض نهائياً ؟ تصور هل هناك جهة بالأرض كلها عندها إمكانية أن تبني بناء على دعائم لا ترى تمشي من خلالها ؟ مستحيل ، هذا عند الله ليس مستحيلاً .

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾

[سورة الرعد : 2]

أي بعمد لا ترونها ، فأنت حينما تمشي في الطريق تخترق قوى التجاذب وأنت لا تشعر ، لكن لا تستطيع أن تخترق دعائم في مسجد ، لها وزن ، ولها حجم ، وتعمل تعتيماً ، أما ربنا عز وجل

﴿ رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾

لو أردنا أن نزرع هذه الحبال على سطح الأرض ، مليون مليون حبل ، قطر كل حبل خمسة أمتار ، لفوجئنا أن بين كل حبلين خمسة أمتار فقط ، لا يوجد مساحات للزراعة ، ولا للبناء ، ولا يوجد طيران ، ولا تنقل ، ولا شيء ، فكم هي عظيمة قدرة الله التي ترفع هذه الكواكب من دون عمد ؟! أنت تقدر لو أتيتك بكتلتي مغناطيس بحجم واحد وأبعاد واحدة ووزن واحد وضعتهما لك على الطاولة ، أعطيتك كرة قلت لك : ضعها بين منتصف المسافة بينهما بحيث لا تنجذب لا إلى هنا ، ولا إلى هنا ، أنا أعتقد مستحيل ، لو المسافة واحد على ألف من الميليمتر تنجذب إلى الطرف الآخر ، أن تضعها في الوسط مستحيل على سطح ، فكيف إذا كان هناك ثلاث كتل متساوية ؟ ثلاث كتل غير متساوية متباينة تحتاج إلى حسابات عديدة ، الآن خمس كتل بالفراغ ، كنا بكتلتين على سطح مستو متساويتين ، الآن كتلتان غير متساويتين ، هذه أصعب بكثير ، أربع كتل غير متساوية ، الآن خمس كتل بالفراغ ، كل كتلة تنجذب إلى الكتلة الثانية بحسب حجمها ، مربع المسافة بينهما ، والمحصلة توازن ، لذلك هذا التوازن الحركي الذي في الكون شيء لا يصدق مع الحركة الدائرية للمجرات والكواكب هناك توازن تجد بناء عمره أربعمئة سنة في استقرار تام ، والدليل الزلزال ، الزلزال لا يبقي ولا يذر ، فهذه الآيات الكونية أيها الأخوة يجب أن نقف عندها وقفات متأنية :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتْما إِنَّ أَمْسَكُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾

[سورة فاطر : 41]

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾

[سورة الرعد : 2]

هذه الآية الثانية ، فكيف نعرف الله ؟ من خلال آياته وآياته دالة على عظمته .

حاجات أساسية هي مطلب كل إنسان :

في الإنسان حاجة أساسية إلى تأكيد الذات ، عنده حاجة إلى الطعام للحفاظ على الفرد ، وعنده حاجة إلى الجنس للحفاظ على النوع دون أن يشعر ، وهناك حاجة ثلاثة للحفاظ على قوة الشخصية، تأكيد الذات ، فالإنسان يحب أن يكون عالياً في الأرض ، كبيراً ، له أهمية ، محترماً ، معزراً ، مبعجلاً ، الله طمأنه قال :

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً ﴾

[سورة فاطر : 10]

كل أنواع الرفعة والقدر والتألق والتفوق هو من قبل الله عز وجل ، إن أردت هذه الحاجة فهي محققة في الدين .

من اتق الله هابه كل شيء ومن لم يتق الله أهابه الله من كل شيء :

لذلك :

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾

[سورة الشرح : 1-4]

قال العلماء : أي مؤمن له من هذه الآية نصيب بقدر إيمانه ، وإخلاصه ، واستقامته يرفع الله له ذكره ، ومن اتق الله هابه كل شيء ومن لم يتق الله أهابه الله من كل شيء ، وكان علماء السلف في أعلى مكان من العزة والكرامة بسبب أنهم اتقوا الله عز وجل .